

الحب بين الناس والخالق



«من المطاعن التي وُجّهت إلى الإسلام أنّّه دين جاف يخلو من الحب بين الله والناس. جاء في كتاب "فلسفة الدين" الذي ألفه بالانجليزية (ادوار روس): "إنّ كلمة الإسلام معناها الإذعان لإرادة الله، وأُخلق بذلك أن يفرضي إلى اعتبار الله قضاءً متحكماً غير مفهوم، من العبث التمرد عليه، وليس من صفاته القداسة ولا الحب، ومع ذلك فقد طهر مسلمون لا يرتاحون إلى هذا الدين الجاف، وإنّ في ظهور الفرق الصوفية التي انتشرت في الإسلام لشهادة بوجود الشوق إلى اتصال يكون أوثق بالله حي يفيض بالحب».

والغريب إنّ سوء النية والجهل هما شعار هذا الكاتب، وليس أسهل من الرد عليه في أمر هو أجهل الناس فيه لأنّ الحب بين الله والناس كثير التكرار في القرآن، فقد جاء في أساليب شتّى إثباتاً ونفياً، وهو يقسم إلى قسمين: حب الإنسان، وحب الله للإنسان.

حب الإنسان: المؤمن الحقّ هو الذي أدرك جمال الله وجلاله، واستشعر لطفه وإحسانه وعلم علمه. اليقين أنّّه هو المنعم عليه. ثمّ تأثر بهذا الإدراك فأحبه، فأصبح قلبه مشغولاً به وعمله موجهاً إليه، ولذته وارتياحه في طاعته وعدم مخالفة أمره، يتحمل في ذلك ما يتحمل راضياً مغتبطاً، فريّر العين مطمئن القلب.

فحب الإنسان هو الإيمان الحقّ، وليس هو مجرد المعرفة وإذعان النفس. بل الإيمان الحقّ هو إيمانه المحبّ لله الذي يؤثّر على النفس، وتبدو آثار حبه إياه في جميع أقواله وأفعاله. أما الإيمان التقليدي الذي لا يعدو الإذعان النفسي ولا تظهر آثاره في مظهر من المظاهر العملية الإيجابية، فليس هو الإيمان الذي يريده الله من عباده، قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة/ 24).

جمع ا في هذه الآية جميع رغائب الإنسان وحاجاته ووضعتها في كفة، ووضع في الكفة الأخرى حب ا ورسوله وحب الجهاد في سبيله، فالنفس التي تتحرر من تلك الرغائب جميعها وتؤثر عليها ا ورسوله هي النفس التي يتطلبها الإسلام.

ويصف ا صفات المؤمنين الصادقين الذين أحبهم كما أحبوه فيقول مخاطباً المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة/ 54).

وحب ا هو علامة المؤمنين الحقيقية الذين تذوقوا حلاوتها فما رغبوا عنها بديلاً، ولهذا يقول الرسول (ع): "ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون ا ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا ا، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار".

"فحب ا من أهم القواعد في بناء الأخلاق، وهو يحولنا إلى أرواح لطيفة لا يصدر عنها شر ولا عدوان، وقد يصل بنا إلى حب كل شيء في الوجود حين نتمثل العالم كله من صنع المحبوب، وهذا بالطبع لا يتيسر إلا حين يغلب علينا الصفاء فننسى البغض والحقد والانتقام والحسد وسائر الدسائس الصغيرة التي تفسد جمال الحياة وتصيّر الأحياء أشقياء".

حب ا للإنسان: وأما حب ا للإنسان فلم يمنحه القرآن إلا لذوي الأعمال العظيمة التي تشمل الخير للإنسان وللمجتمع الإنساني ولم ينه ا إلا عن ذوي الصفات السيئة الموغلة في السوء التي من شأنها أن تشيع الضرر والفساد.

والآيات القرآنية التي أثبتت حب ا لعباده، تصف هؤلاء العباد المحبوبين بأوصاف هي أُمّهات الأخلاق ومنابع الفضائل النفسية:

(وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المائدة/ 42).

(بَلَايَ مَنْ أَوْفَى بَعْدَ هُدَاهُ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران/ 76).

(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران/ 159).

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة/ 13).

(وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران/ 146).

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة/ 222).

ونفى ا حبه عن الذين يتصفون بصفات هي مصدر شقاء للجنس البشري كقوله تعالى في الآيات التالية:

(وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص/ 77).

(وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران/ 57).

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف/ 31).

(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ) (الروم / 45).

(لَا جَرَمَ أَنْ سَلَ اللّٰهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُكْذِبِينَ) (النحل / 23).

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء / 36).

(وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عِلَاقَ سَوَاقٍ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (الأنفال / 58).

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة / 190).

فمحببة إلى الإنسان ما هي مصدر سعادته، لأنها تتبعها ولاية إلى له ونصرته ودفاعه عنه وبالعكس، فإن
بغض إلى الإنسان سبب في شقائه، هذا ما بيّنه الرسول (ص) بقوله: "إذا أحب إلى عبداً نادى جبريل فيقول
إني أحب فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: أنى يحب فلاناً فأحبه،
فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض
فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء، أنى يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم يوضع له
البغضاء في الأرض". ►

المصدر: كتاب روح الدين الإسلامي